الفصل الرابع
علم الإمام سفيان الثوري

يعد الإمام الثوري من أبرز العلماء في عصر تابعي التابعين[١]. إنه من تابعي التابعين اجتمع لديه الكثير من أنواع العلوم فكان الإمام، والفقيه، وأمير المؤمنين في الحديث، والمفسّر، والواعظ، والتقي النقي الزاهد.

أصبح إماماً لمذهب متبوع، وفاق كثيراً من العلماء في عصره وعصور من قبله، وقُدِّم على كثير ممن سواه من العلماء، لذلك أجمع العلماء على علمه وعلى اعتباره من العلماء الأفذاذ على مر العصور. وقد ذكره أصحاب كتب الطبقات في طبقاتهم، فقد ذكره الزركلي في الأعلام في الطبقة السادسة من طبقات الكوفيين[٢]. أما صاحب تذكرة الحفاظ فقد صنفه في الطبقة الخامسة[٣]، وكذلك في طبقات الحفاظ[٤]. أما ابن حجر[٥] فقد صنفه في الطبقة السابعة[٦] وقد صنفه صاحب «مشاهير علماء الأمصار» ضمن مشاهير أتباع التابعين بالكوفة[٧]. أما ابن النديم فقد صنفه في الفن السادس ضمن فقهاء المحدثين وأصحاب الحديث[٨].

---

(١) مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان: ٢٦٨ .
(٢) الأعلام، للزركلي: ١٠٥/٣ .
(٣) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٢٠٣/١ .
(٤) طبقات الحفاظ، للسيوطي: ٩٥ .
(٥) ابن حجر: علي بن حجر بن إياس بن مقاتل الحافظ العلامة الحجة. (سير أعلام النبلاء: ٥٠٧/١١).
(٦) تحرير تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٥٠/٢ .
(٧) مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان: ٢٦٨ .
(٨) الفهرست، لابن النديم: ٣١٤ .

obeikandl.com

والسؤال هنا ما الذي جعل من الإمام سفيان الثوري إماماً وعلماً من أعلام العلماء ميزه عن سواه من علماء عصره وغيره؟

للإجابة على هذا السؤال نبسط ما يلي:

المبحث الأول: العوامل المكونة له كعالم:

أ- البيئة:

عاش الإمام الثوري حقبة من حياته في الكوفة، والكوفة هي إحدى المدن الإسلامية التي حضنت وأنشأت كثيراً من العلماء الذين ذاع صيتهم. لقد كانت مدينة العلم والعلماء حتى باتت تخرّج أئمة العلماء كأمثال سفيان الثوري. هذا وسنتعرض للحياة العلمية في تلك المدينة عندما نتحدث عن العصر الذي عاش المترجم له فيه.

هذا بالإضافة إلى أن الإمام الثوري قد نشأ في بيت علم فوالده سعيد بن مسروق الثوري الذي ذكرته كتب الطبقات[1] وعدّته من صغار التابعين المحدِّث الذي كان واحداً من الشيوخ الذي أخذ الإمام الثوري عنه علمه.

وأمه كانت واحدة من العابدات المصطفيات، التي راحت تحثّ ولدها على طلب العلم وتقدّم له ما يعينه على ذلك من مال بعمل يدها، فلا ننسى حين قالت له: «يابني: اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي» وراحت تشجعه على ذلك وهي متأكدة من نفع العلم وخيره الكثير بقولها: «وإذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في الخير فإن لم تر فلا تعنَّ»[2]. أما إخوته فكان اثنان منهم من المحدِّثين فقد حدثا عن والدهما وهما عمر ومبارك ابنا سعيد بن مسروق[3].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوي: ١١/٤٥٠ .
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٥ .
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٧/٢٣٠ .

فمدينة العلم وبيت العلم ساعدا الإمام الثوري كي ينشأ في محيط من العلم جعله عالماً تفرّد بكثير من الخصال التي جعلت منه إماماً وسيد العلماء.

ب - الرغبة في طلب العلم:

لقد منَّ الله على الإمام الثوري بحب العلم ورغبته في تعلّمه فبرع فيه وصار من سجاياه وخصاله حتى راح يدعو إليه ويأمر به، فقد قال: «تعلَّموا هذا العلم واكظموا وافرغوا عليه ولا تخلطوه بضحك فتجمد القلوب»[١].

وقد رسم الثوري طريق الحصول على العلم بالذهاب إليه وحفظه والعمل به ثم نشره، وكان يقول: «أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه»[٢].

ومما رغّب الثوري بالعلم أنه أفضل عمل بعد الفرائض، لذلك لم يجد للعلم حداً بل راح يتعلّم العلم ما وجد من يعلمه، وقد مات وقد جعل قميصه خريطة قد ملأها كتباً[٣].

والعلم عند الثوري لا يكون إلا بالصبر على طلبه. قال زيد بن الحُباب[٤]: «سمعت سفيان الثوري ـ وقد سأله شيخ عن حديث فلم يجبه ـ قال: فجلس الشيخ يبكي، فقام إليه سفيان قائلاً: ياهذا تريد ما أخذتُه في أربعين سنة أن تأخذه في يوم واحد»[٥].

إن رغبة الإمام الثوري الشديدة في طلب العلم جعلت لديه الصبر والجلد على طلب العلم حتى لو تطلّب ذلك منه طلبه والبحث عنه عشرين سنة، قال

---

(١) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٦٢ .
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق:٦/٣٦٤ .
(٤) زيد بن الحُباب: ابن الريان، الإمام الحافظ الرباني. (سير أعلام النبلاء: ٩/٣٩٣).
(٥) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٦٥ .

عبد الله ابن إدريس[1] عن سفيان الثوري قال: «كنت أطلب عابداً من عباد الكوفة يقال له الكوثاني عشرين سنة فما أقدر عليه فمررت يوماً بشاطئ الفرات وقوم يعملون في الطين فنادى رجل منهم: ياكوثاني يا كوثاني، فناديت: ياكوثاني، فأتاني. فقال: ما تريد. قلت: أنا سفيان الثوري. قال: ما حاجتك؟ قلت: كلّمني بشيء. فقال: ياسفيان! كل خير نرجو من ربنا، منع ربنا لنا عطاء. ثم ذهب»[2].

وربما الذي جعل الإمام الثوري يبرز في علمه أنه كان يعمل به، قال عنه مؤمل ابن إسماعيل: «ما رأيت عالماً يعمل بعلمه إلا سفيان»[3].

وكان طلبه للعلم كثيراً قبل ترأسه، حيث كان يقول: «إذا ترأس الرجل سريعاً أضرّ بكثير من العلم، وإذا طلب وطلب بلغ»[4].

وكان متصفاً ببراعة الفهم والفطنة والفِراسة، حيث كان يقول: «يا يحيى ـ يحيى بن سعيد القطَّان ـ تعال حتى أحدّثك عنه بعشرة أحاديث لم تسمعها فسرد ثمانية كأنه قد علم أني لم أسمعها»[5].

وقال الفريابي: «رأينا سفيان الثوري بالكوفة، وكنا جماعة من أهل الحديث، ينزل في دار فلما حضرت صلاة الظهر دلونا له دلواً من بئر الدار فإذا الماء متغير. فقال: مابال مائكم هذا؟ قلنا: هو كذا منذ نزلنا هذه الدار، فقال: ادلو دلواً من بئر الدار التي شرقيكم فإذا ماء أبيض. فقال: ادلو دلواً من بئر الدار التي شأمكم فإذا ماء أبيض، فقال: ادلو دلواً من بئر الدار التي غربكم فإذا ماء

---

(١) عبد الله بن إدريس: ابن يزيد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ المقرئ القدوة شيخ الإسلام. (سير أعلام النبلاء: ٤٢/٩).
(٢) المرجع السابق: ٨٠/٧ .
(٣) المرجع السابق: ١٣/٧ .
(٤) المرجع السابق: ٨١/٧ .
(٥) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٩/١ .

أبيض. فقال: إن لبئركم هذا لشأناً. فحفرنا فأصبنا عرق كنيف ينزُّ فيه، فقال لنا: منذ كم نزلتم هذه الدار؟ فقلنا: أربع سنين. فأمرنا بإعادة صلاة أربع سنين فيها ركعتا الفجر وركعتان بعد المغرب والوتر»[١].

وقال عبد الرحمن بن المهدي: «كنت أذاكر سفيان بحديث حمّاد بن زيد ولا أسميه، فإذا جاءه حمّاد بن زيد سأله عن تلك الأحاديث، فجعل يتعجَّب من فطنته»[٢].

وكان حرص الإمام الثوري على أخذ العلم وكتابته كبيراً حتى قال عنه سليمان ابن المغيرة البصري: «قدم علينا الثوري فأرسل إليّ أنه بلغني عنك أحاديث وأنا على ما ترى من الحال فائتني إن خفّ عليك فأتيته فسمع مني وفعل ذلك بغير واحد من أصحابي»[٣].

وإضافة إلى علم الإمام الثوري العلم الشرعي كان عالماً بأحد العلوم الكونية وهو علم الرياضيات[٤].

جـ- الإخلاص في طلب العلم:

قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»[٥].

الإخلاص سر عظيم يقذفه الله في قلوب من اصطفى من عباده، يقودهم إلى جلائل الأعمال ويربّي في نفوس المخلصين روحاً طيبة وضميراً سليماً حياً، وهو

---

(١) المرجع السابق: ٥٩ .

(٢) الجرح والتعديل، للرازي: ٦١/١ .

(٣) الجرح والتعديل، للرازي: ١١٧/١ .

(٤) تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين: ٢٢٣، الجرح والتعديل، للرازي: ١٢٥/١-١٢٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث (١). وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٧).

دليل كمال الإيمان، وروح هذا الوجود، فإذا حلَّ في أمر من الأمور فقد جلّت فيه الحياة، ودبّت فيه الحركة فكان شيئاً نافعاً مباركاً.

والإخلاص هو النية الصادقة في الإتيان بالفعل، قال صاحب الحكم العطائية: الأعمال صور قاتمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها، وقد حمل طلب الإمام الثوري للعلم هذه السجية، فأعطاه الله ما يعطي سواه من العلماء.

بدأ الإمام الثوري بطلب العلم منذ نعومة أظفاره فلم يكن طلبه للعلم، شأن كل الطلبة صغار السن، له من النية ما يعرف بالإخلاص في الطلب إلا أنه حين كبر واتسع إدراكه للأمور توفرت لديه هذه الصفة، قال علي بن ثابت: سمعت سفيان يقول: «طلبت العلم فلم تكن لي نية، ثم رزقني الله النية»[1] وكان الثوري يدعو الله أن يمنحه تلك الخَصْلة حيث يقول: «لما هممت بطلب الحديث ورأيت العلم يُدرس قلت: أي رب، إنه لا بدَّ لي من معيشة فاكفني أمر الرزق وفرّغني لطلبه، فتشاغلت بالطلب فلم أر إلا خيراً إلى يومي هذا»[2].

وشهد له بذلك أبناء عصره، قال الحسن بن صالح: «كنا في حلقة ابن أبي ليلى فتذاكروا فسألته وطلع سفيان الثوري، فقال: ألقوها عليه. قال حسن: فجاء فجلس قريباً مني فأجاب فيها، فأصاب. فسمعته يحمد الله عز وجل فيما بينه وبين نفسه. قال حسن: فكنت أراه يطلبه بنية، يعني العلم»[3]. وصار يؤخذ منه العلم وهو ابن ثلاثين سنة[4]. وكان الثوري يشعر بخوف شديد في أن يكون في طلبه للعلم مؤاخذة إن خلا من الإخلاص فيقول: «لو لم أعلم لكان

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٥ .
(٢) المرجع السابق: ٢٢٥-٢٢٦ .
(٣) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٨/١ .
(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي: ١٤٧/٣ .

أقل لحزني»[1]. ويقول أيضاً: «ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه»[2].

د- قوة الحافظة:

كان الإمام الثوري آية في الحفظ. قال عنه بشر بن الحارث[3]: «كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه، يأخذ منه ما يريد ويدع منه ما يريد»[4]. وقال عن نفسه: «ما استودعت قلبي شيئاً فخانني»[5]. وقال عنه عبد الرحمن بن المهدي: «كان وُهيب يقدّم سفيان في الحفظ على مالك»[6]. وقال شعبة: «سفيان أحفظ مني»[7].

قال مهران الرازي: «كتبت عن سفيان الثوري أصنافه ـ كتبه ـ فضاع مني كتاب الديّات، فذكرت ذلك له، فقال: إذا وجدتني خالياً فاذكرلي حتى أملِّه عليك، فحج، فلما دخل مكة، طاف بالبيت وسعى، ثم اضطجع فذكّرته فجعل يملي عليّ الكتاب باباً في إثر باب حتى أملاه جميعه من حفظه»[8]. وقال الأشجعي[9]: «دخلت مع سفيان الثوري على هشام بن عروة، فجعل سفيان يسأل وهشام يحدّثه فلما فرغ، قال: أعيدها عليك؟ قال: نعم. فأعادها عليه، ثم خرج سفيان، وأذِن لأصحاب الحديث وتحلقتُ معهم فجعلوا إذا سألوه أرادوا

---

(١) المرجع السابق.
(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٢٠٥/١ .
(٣) بشر بن الحارث: ابن يعقوب كان يعرف بتوكله على الله. (حلية الأولياء: ٣٣٦/٨).
(٤) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣٨٦/٢ .
(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٦/٧ .
(٦) المرجع السابق: ٢٧٧/٧ .
(٧) المرجع السابق.
(٨) المرجع السابق: ٢٤٧/٧ .
(٩) الأشجعي: عبيد الله بن عبيد الرحمن وقيل ابن عبد الرحمن الحافظ الثبت الإمام حدث عن سفيان وجماعة. (سير أعلام النبلاء: ٥١٤/٨).

الإملاء، فيقول: احفظوا كما حفظ صاحبكم، فيقولون: لا نقدر نحفظ كما حفظ صاحبنا»[١].

لقد فاق سفيان الثوري معاصريه في قوة حافظته لذلك تراه يشتد عليه أن ينسى حديثاً أو مسألة يسأل عنها، قال يحيى بن سعيد القطان: «ما رأيت أحفظ منه، كنت إذا سألته عن مسألة أو حديث ليس عنده اشتد عليه»[٢].

وكان حفظه متقناً يفوق شعبة في حفظه للإسناد، قال عنه أُبي: «سفيان فقيه، حافظ، زاهد، إمام أهل العراق وأتقن أصحاب أبي إسحاق وهو أحفظ من شعبة، وإذا اختلف الثوري وشعبة فالثوري»[٣]. وقال يحيى بن سعيد القطّان: «قال لي سفيان بعد ثماني عشرة سنة أو تسع عشرة سنة في حديث عمرو بن مرة: **هذا أليس قد حدثتك به مرة** »[٤].

وأختم بعبارات للإمام الثوري توضّح لنا جانباً من علمه: قال مبارك أبو حماد: «سمعت سفيان الثوري يقرأ على علي بن الحسن: يا أخي! اطلب العلم لتعمل به، ولا تطلبه لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وتأكل به الأغنياء وتستخدم به الفقراء، فإن لك من علمك ما عملت به، وعليك ما ضيَّعت منه فقد بلغنا، والله أعلم ـ أنه من طلب الخير صار غريباً في زماننا، ولا تستوحش، واستقم على سبيل ربك، فإنك إن فعلت ذلك كان مولاك الله تعالى وجبريل وصالحي المؤمنين، واشتغل بذكر عيوب نفسك عند ذكر عيوب غيرك، واحزن على ما قد مضى من عمرك في غير طلب آخرتك، وأكثِر من البكاء على ماقد أوقرت به ظهرك لعلك تتخلص منها، ولا تمل من الخير وأهله، ولا تباعد عنهم فإنهم خير لك مما سواهم، وملّ الجهال وباطلهم وتباعد عنهم فإنه لن ينجو من جاورهم إلا من عصم الله، وإن أردت اللحاق بالصالحين فاعمل بأعمال الصالحين»[٥].

---

(١) تاريخ بغداد، للذهبي: ١٦٣ .
(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٢٠٤/١ .
(٣) الجرح والتعديل، للرازي: ٦٦/١ .
(٤) المرجع السابق.
(٥) حلية الأولياء، للأصفهاني: ١٠/٧-١١ .

المبحث الثاني: شيوخه ومن أخذ عنه:

تتلمذ الإمام سفيان الثوري على كبار الشيوخ نذكر منهم: إسماعيل السُّدي، والأسود بن قيس، وثابت بن عبيد، وجعفر الصادق، وحبيب بن أبي ثابت[١]، وحمّاد ابن أبي سليمان، وربيعة الرأي، وزياد بن عِلاقة[٢] ـ وهو من كبار مشيخته وزيد بن أسلم، وسلمة بن كُهيل ـ وهو من كبارهم ـ، وعبد الله بن دينار، وعب الله بن شبرمة، وابن جريج، وعمرو بن مرة ـ وهو من قدماء شيوخه ـ، وقيس بن مسلم ـ وهو من قدمائهم، ومحمد بن المُنكدر ـ وهو من كبارهم ـ، وأبو مالك الأشجعي، وأبو إسحق السبيعي[٣][٤]، وعبد الملك بن عمير[٥]، وأبو حصين[٦]، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وحصين بن عبد الرحمن[٧]، وأيوب السختياني[٨]، ويونس بن عبيد[٩]، وسليمان التيمي، وعاصماً الأحول، وعمرو بن دينار[١٠]، وسهيل بن أبي صالح[١١]، وروى عن أبيه، وعبد الملك بن عمير، وعبد الرحمن بن عابس بن ربيعة، وطارق بن عبد الرحمن وبيان ابن بشر، وابن عونٌ،

---

(١) الكاشف، للذهبي: ٣٠٠/١ .
(٢) طبقات الحفاظ، للسيوطي: ٩٥ .
(٣) التاج المكلل، للبخاري: ٥٠ .
(٤) أبو إسحق السبيعي: هو أبو بكر الهذلي عمرو بن عبد الله السبيعي، معمر ثابت مشمر قانت، تبصر فعَقل وتصبّر ففعل. (حلية الأولياء: ٣٣٨/٤).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ٢٢٢/١ .
(٦) أبو حصين: الشيخ الجليل المسند الصدوق مسند الآفاق أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين الشيباني (سير أعلام النبلاء: ٥٣٦/١٩).
(٧) حصين بن عبد الرحمن: حدَّث عن سفيان الثوري وأبي حنيفة وسواهم. (سير أعلام النبلاء: ٣١٠/٩).
(٨) أيوب السختياني: كان فقيهاً محجاجاً وناسكاً حجاجاً عن الخلق قال الحسن عنه: هذا سيد الفتيان. (حلية الأولياء: ٣/٣).
(٩) يونس بن عبيد: الورع السديد والضرع الشديد ذو الكلام الوزن واللسان المخزون. (حلية الأولياء: ١٥/٣).
(١٠) عمرو بن دينار: الإمام الفقيه المأمون أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن دينار النيسابوري الحنفي. (سير أعلام النبلاء: ٣٨٢/١٥).
(١١) تاريخ بغداد، للبغدادي: ١٥٢/٩ .

وإبراهيم ابن ميسرة، وحبيب بن الشهيد، وخالد الحذّاء، وداود بن أبي هند[١] [٢]، ومحارب بن دثار وطبقته، وسمّاك بن حرب[٣]، ومسعر بن كدام[٤] وكنيته مسعر أبو سلمة[٥]، والعلاء بن المسيب، وأبي الحويرث[٦]، وعبد الله بن مبارك[٧]، وأبو إسحق الفزاري، وإبراهيم بن أدهم، وسفيان بن عيينة[٨]، وشعبة بن الحجاج، والأوزاعي، والفُضيل بن عياض[٩]، وأبي حنيفة[١٠]، ووكيع بن الجراح[١١]، وغيرهم كثير.

وسفيان الثوري ممن وصفوا بالإكثار من الشيوخ المتقدمين[١٢]، ويقال أنه أخذ من ستمائة شيخ، وكبارهم الذين حدثوه عن أبي هريرة[١٣]، وجرير بن عبد الله، وابن عباس[١٤] وأمثالهم، وقد قرأ الختمة عرضاً على حمزة الزيات أربع مرات[١٥].

وقد أخذ عنه وروى خلق كثير فذكر أبو الفرج بن الجوزي أنهم أكثر من عشرين ألفاً، إلا أن الإمام الذهبي أنكر هذا وقال: «فإن بلغوا ألفاً فبالجهد، وما

---

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: ١١٢/٤ .
(٢) داود بن أبي هند: العالم المثبت والزاهد المخبت داود بن أبي هند. قال ابن جريج: لقيت داود بن أبي هند فرأيته ينزع العلم نزعاً. (حلية الأولياء: ٩٢/٣).
(٣) العبر في أخبار من عبر، للذهبي: ٢٣٥/١ .
(٤) مسعر بن كدام: معظم للمعالي العظام المعتصم بمنهج الصحابة والأعلام المسلم، كان للحق ناصحاً ودوداً وفي عبادة ربه كادحاً كدوداً. (حلية الأولياء: ٢٠٩/٧).
(٥) تاريخ ابن معين، لابن معين: ٢٤٣/١ .
(٦) تاريخ ابن معين، لابن معين: ١٣٥/١ .
(٧) عبد الله بن المبارك: الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته. (سير أعلام النبلاء: ٣٧٨/٨).
(٨) سفيان بن عيينة: الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام. (سير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٨).
(٩) الفضيل بن عياض: الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام. (سير أعلام النبلاء: ٤٢١/٨).
(١٠) أبو حنيفة: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري النحوي تلميذ ابن السكيت، صدوق كبير الباع، ألف في النحو واللغة، والهندسة، والبيئة، والوقت، وأشياء... (سير أعلام النبلاء: ٤٢٢/١٣).
(١١) انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٥٤/٧ .
(١٢) فهرس الفهارس، الكتاني: ١١٧/٢١
(١٣) أبو هريرة: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ سيد الحفاظ الأثبات. (سير أعلام النبلاء: ٥٧٨/٢٠).
(١٤) ابن عباس: حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير. (سير أعلام النبلاء: ٣٣١/٣).
(١٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٠/٧-٢٣٤، تاريخ الإسلام، للبغدادي: ٢٢٥

علمت أحداً من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مالك[1] وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفاً وأربعمائة»[2].

وقد حدّث عنه من القدماء مشيخته وغيرهم خلق منهم الأعمش، وابن جريج، وجعفر الصادق، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وسفيان بن عقبة[3]، وسفيان بن عيينة، وأبو داود الطيالسي، وعباد السمّاك، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب[4]، وعبد الله بن نمير[5]، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق، وعبيد الله الأشجعي[6]، وأبو نُعيم[7]، وفُضيل بن عياض، وقبيصة، ومالك، ومحمد بن يوسف الفريابي[8]، ومؤمَّل بن إسماعيل، ونائل بن نجيح، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد القطّان، ومحمد بن عجلان، ومعمر[9]، وابن الأحوص[10]، وزائدة بن قدامة، وشعبة، وزهير بن معاوية[11]، وإبراهيم بن سعد، وسليمان بن بلال، وعبثر بن القاسم[12]، وجعفر بن

(١) مالك: مالك الإمام: هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عامر بن عمرو. (سير أعلام النبلاء: ٢٤٨/٨).
(٢) تاريخ الإسلام، للبغدادي: ٢٢٥
(٣) سفيان بن عقبة: لقي حسيناً المعلم ومسعراً وعدة.
(٤) عبد الله بن وهب: ابن مسلم الإمام شيخ الإسلام روى عن ابن جريج وغيره. (سير أعلام النبلاء: ٢٣/٩).
(٥) عبد الله بن نمير: الحافظ الثقة، كان من أوعية العلم وثقه يحيى بن معين وغيره. (سير أعلام النبلاء: ٢٤٤/٩).
(٦) عبيد الله الأشجعي: الحافظ الثبت نزيل بغداد. (سير أعلام النبلاء: ٥١٤/٨).
(٧) أبو نعيم: الفضل بن دكين الحافظ الكبير شيخ الإسلام الفضل بن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي. (سير أعلام النبلاء: ١٤٢/١٠٠).
(٨) محمد بن يوسف الفريابي: ابن معدان الصاحب العابد القدوة. (سير أعلام النبلاء: ١٢٥/٩).
(٩) معمر: ابن سليمان الإمام القدوة أبو عبد الله النخعي الرقي. وثقه يحيى بن معين. (سير أعلام النبلاء: ٢١٠/٩).
(١٠) ابن الأحوص: الإمام الحافظ الثبت قاضي عكبري أبو عبد الله محمد بن الهيثم بن حماد بن واقد الثقفي. (سيرأعلام النبلاء: ١٥٦/١٣).
(١١) زهير بن معاوية: بن حديج بن الرميل الحافظ الإمام المجود أبو خيثمة الجعفي محدث الجزيرة، كان من أوعية العلم صاحب حفظ وإتقان وسنة مولده في خمس وتسعين. (سير أعلام النبلاء: ١٨١/٨).
(١٢) عبثر بن القاسم: الإمام الثقة أبو زبيد الزبيدي الكوفي روى عن الأعمش وغيره.(سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/٨).

برقان، وخصيف بن عبد الرحمن، ويزيد بن زريع، ويزيد بن هارون، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وعلي بن الجعبر وهو آخر من حدّث عنه، ويزيد بن أبي حكيم وقد روى عنه كتاب "الجامع الكبير"، وعبد الله بن الوليد العرفي، وإبراهيم بن خالد الصنعاني، وعبد الملك الجُدّي، والحسين بن حفص الأصفهاني، والمعافا بن عمران الموصللي، وغسان بن عبيد، وعبد العزيز بن أبان، وعبد الصمد بن حسان[1]، وزيد بن أبي الزرقاء، والقاسم بن يزيد الجرفي، وأبان بن تغلب، وإبراهيم بن سعد، وبشر بن السري[2]، وثابت بن محمد الغابد، والحارث بن منصور الواسطي، وخالد بن عَمرو القرشي، وروح بن عيادة[3]، وطلحة بن سليمان الرازي، وأبو يحيى زياد السفياني، وإسحق بن جعفر بن محمد العلوي، وأمم سواهم[4].

المبحث الثالث: نبوغه المبكر:

نبغ الإمام الثوري منذ صغره وذلك لفرط ذكائه وحفظه حتى حدّث وهو شاب، مما حدا بالعلماء على التنويه بذكره وهو صغير، كان عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول: «ياسفيان أتيتنا صغيراً وأتيناك كبيراً»[5]، وقول عاصم هذا إن دل على شيء فإنما يدل على نبوغ سفيان المبكر وتحصيله

---

(١) عبد الصمد بن حسان: أبو يحيى المروزي قاضي هراة حدث عن الثوري مات سنة (٢١٠ هـ) وكان من العلماء ولا شيء له في الكتب الستة.

(٢) بشر بن السري: الأفوه هو الواعظ لصاحب العابد الإمام الحجة سمع سفيان الثوري، وحدث عنه أحمد بن حنبل. كان متقناً للحديث وقال أبو حاتم: صالح ثبت. (سير أعلام النبلاء: ٣٣٢/٩).

(٣) روح بن عيادة: ابن العلاء بن حسان بن عمرو الحافظ الصدوق. (سير أعلام النبلاء: ٤٠٢/٩).

(٤) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٢٠٤/١، معجم المفسرين، بونهيض: ٢١١، سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٤/٧-٢٣٦، تهذيب التهذيب، للعسقلاني: ١١٢/٤-١١٣، التاريخ الكبير، للبخاري: ٩٣/٤، تاريخ بغداد، للبغدادي: ١٥٢/٩، طبقات المفسرين، للداودي: ١٨٩، الفهرست لابن النديم: ٣١٥، طبقات الحفاظ، للسيوطي: ٩٥، تهذيب الكمال، للمزي: ١٦١/١١، الأنساب، للسمعاني: ٢٦١/٣ .

(٥) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣٨٧/٢ .

للعلوم في سن صغيرة مما جعل مشايخه الذين أخذ هو عنهم يأتونه ليغرفوا من بحر علمه ومما أنعم الله عليه من نبوغ متقد. وقال أبو المثنى: «سمعت الناس بمرو يقولون: قد جاء الثوري، فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بقل وجهه»[1][2]. وقال ابن المهدي: «رأى أبو إسحق السبيعي سفيان الثوري مقبلاً فقال: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [3][4]. وقال الوليد بن مسلم[5]: «رأيت سفيان يستفتى بمكة ولم يختط وجهه»[6].

لقد كان الإمام الثوري يتوقد ذكاء، طلب العلم وهو حدث فقد نشأ في بيت علم، وصار إماماً منظوراً إليه وهو شاب، وأخذ عنه العلم وهو ابن ثلاثين[7].

المبحث الرابع: الإمام الثوري والقرآن الكريم:

يبدو أن الإمام الثوري كان حافظاً لكتاب الله العزيز لما ورد أن الإمام الثوري قد قرأ الختمة عرضاً على حمزة الزيّات أربع مرات[8]، وحمزة الزيات أحد أصحاب القراءات، ولربما كان لسفيان الثوري القدرة على قراءة القرآن بأكثر من قراءة، فهو يجد أن القرآن أفضل الأعمال، قال يوسف بن أسباط: «رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت له: أي الأعمال أفضل؟ قال القرآن»[9]، لذلك جعل لنفسه كل ليلة وقتاً يقرأ فيه جزءاً من القرآن وجزءاً من الحديث، فيقرأ جزأه من القرآن ثم يجلس على الفراش فيقرأ جزأه من الحديث ثم ينام[10]. وإن من القراء

---

(١) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٦٠، تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٥ .
(٢) بقل وجهه: قال في مختار الصحاح. بقل وجه الغلام خرجت لحيته.
(٣) مريم: ١٢ .
(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٧/٢٣٧ .
(٥) الوليد بن مسلم: الإمام عالم أهل الشام أبو العباس الدمشقي الحافظ مولى بني أمية. (سير أعلام النبلاء: ٩/٢١١).
(٦) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ١/٢٢٣ .
(٧) صفة الصفوة، ابن الجوزي: ٣/١٤٧ .
(٨) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٧/٢٣٠-٢٣٤ .
(٩) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٦٧ .
(١٠) الجرح والتعديل، للرازي: ١/١٠٣ .

-عند الثوري- فجاراً اتخذوا القرآن سلماً إلى الدنيا فقالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن المكروب ونتكلم في محبوس[1].

وقد عمل الإمام على تفسير آيات القرآن كلمة كلمة ولم ير تفسيرها تفسيراً إجمالياً وموضوعياً. وله كتاب "تفسير القرآن الكريم" رواية عن أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي[2] عنه. صححه ورتّبه وعلّق عليه وقام بنشره بامتياز علي عرشي مدير مكتبة رضا رامبور الهند[3].

وهذه أمثلة على تفسيره:

في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ (الطارق: ٨٦/١٠) قال الثوري: القوة العشيرة والناصر الحليف[4].

في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ (الأعراف: ٧/١٨٢) قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم من الشكر[5].

في قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور: ٢٤/٣٧) قال: كانوا يشترون ويبيعون ولا يدعون الصلوات المكتوبات في الجماعة[6].

وقال سفيان: لما قال موسى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي: ٣/١٥٠ .
(٢) أبو جعفر بن أبي حذيفة النهدي: المحدث الحافظ الصدوق أبو حذيفة موسى ابن مسعود النهدي. ولد في حدود الثلاثين بل قبل. (سير أعلام النبلاء: ١٠/١٣٧).
(٣) معجم المفسرين، بونهيض: ٢١١ .
(٤) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٧/٧٧ .
(٥) المرجع السابق: ٧/٧ .
(٦) المرجع السابق: ٧/١٥ .

أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ (الأعراف: ١٤٣/٧) قالت الملائكة: يا ابن النساء الحيض، لقد تكلمت بأمر عظيم[١].

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ (البقرة: ٢٦٠/٢) قال: بالخلة.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (النحل: ٩٩/١٦) قال: على أن يحملهم على ذنب لا يغفر.

في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (الملك: ٢/٦٧) قال: الزهد في الدنيا.

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ (المؤمنون: ١٠٦/٢٣) قال: القضاء.

في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (النمل: ٥٧/٢٩) قال: هم أصحاب محمد ﷺ رضي الله عنهم.

في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنبياء: ٩٠/٢١) قال: الخوف الدائم في القلب.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الذاريات: ١٥/٥١-١٦) قال: من ثواب الفرائض.

في قوله تعالى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الذاريات: ١٦/٥١) قال: كانوا متطوعين.

---

(٧) المرجع السابق: ٧٦/٧ .

في قوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾(يونس: ١٠/١٠) قال: إذا أراد الرجل من أهل الجنة يدعو الشيء قال: «سبحانك اللهم» فيأتيه الذي دعا به.

في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنبياء: ٩٠/٢١) قال: رغبة فيما عندنا ورهبة مما عندنا.

في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ (غافر: ١٩/٤٠) قال: الرجل يكون في المجلس يسترق النظر في القوم إلى المرأة تمر بهم، فإن رأوه ينظر إليها اتقاهم فلم ينظر وإن غفلوا نظر هذا «ماتخفي الصدور» قال: ما يجد في نفسه من الشهوة.

في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (الإسراء: ٧٧/١٧) يقول: لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلا أهلكوا.

في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ (آل عمران: ١٢٩/٣) قال: يغفر لمن شاء الذنب العظيم ويعذّب من شاء بالذنب اليسير[١].

إن الإمام الثوري كان عالماً بالتفسير وكان يعلم هذا في نفسه فكان يقول: «سلوني عن التفسير والمناسك فإني بهما عالم»[٢].

المبحث الخامس: الإمام الثوري والحديث:

يعدُّ الإمام الثوري إماماً في علم الحديث، أجمع العلماء على ثقته في الرواية وأطلق عليه شعبة لقب أمير المؤمنين في الحديث[٣]، ويعتبر ثقة، مأموناً، ثبتاً،

(١) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٧٦/٧-٧٨ .
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٤٧، حلية الأولياء، للأصفهاني: ٥٨/٧ .
(٣) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٥٦/٦ .

كثير الحديث، حجة. قال عنه الشعبي: «ما حدثني سفيان عن السُّدِّي بحديث فسألته عنه إلا كان كما حدثني»[١].

واظب الإمام الثوري على طلب الحديث حتى في أحلك أيام حياته، فعندما لم يأمن الإمام سفيان الثوري على نفسه بمكة خرج إلى البصرة فقدمها فنزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان. فقال لبعض أهل الدار: أما قربكم أحد من أصحاب الحديث؟ قالوا: بلى، يحيى بن سعيد. قال: جئني به ـ فأتاه به فقال: أنا هاهنا منذ ستة أيام أو سبعة فحوّله يحيى إلى جواره وفتح بينه وبينه باباً، وكان يأتيه بمحدّثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه فكان فيمن أتاه جرير بن حازم والمبارك بن فضالة وحماد بن سلمة ومرحوم العطّار، وحماد بن زيد، وغيرهم، وأتاه عبد الرحمن بن المهدي ولزمه، فكان يحيى وعبد الرحمن يكتبان عنه تلك الأيام[٢]. قال عنه عبد الرحمن بن المهدي: «ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك بن أنس، وما رأيت رجلاً أنصح لأمة محمد ﷺ من عبد الله بن المبارك، ولا أعلم بالحديث من سفيان، ولا أقشف من شعبة»[٣].

لقد خالط طلب الحديث دم سفيان الثوري رحمه الله حتى قال: «لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم»[٤].

ولعل سبب مواظبة الإمام الثوري في طلبه للحديث وجمعه وترتيبه أخذه لحديث رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي**»[٥]. أما كتاب الله فقد تعهد الله حفظه حيث يقول: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾ ﴾[٦] عن طريق الحفظ الإلهي أولاً وحفظه في صدور وسطور صحابة رسول الله الذين سخر الله لحفظه. وإضافة إلى ذلك

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٣٧٣/٦ .
(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٣٧٣/٦ .
(٣) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣٨٧/٢ .
(٤) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٦٦/٦ .
(٥) رواه الترمذي برقم (٣٧٨٦)، والدارقطني برقم (١٤٩).
(٦) الحِجر: ٩ .

اجتهاد الخليفة أبي بكر الصديق[1] في جمعه، ومن ثم تدوينه وتوزيعه في الأمصار زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

أما سنة رسول الله ﷺ فلم تجد لها مدوّناً في عصر رسول الله ﷺ ولا في عصر الصحابة الكرام؛ لقد فكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3] في تدوينها إلا أنه تراجع فيما بعد خوفاً من الانصراف عن كتاب الله، فترك الأمر للاختيار. وهكذا انقضى القرن الأول الهجري من غير أن تدون السنة المطهرة. وعلى الرغم من ذلك فقد حفظ في هذا العصر تدوين صحيفة لعبد الله بن عمرو بن العاص كانت تسمى «الصادقة» دوّن فيها الأحاديث التي سمعها مباشرة من الرسول عليه الصلاة والسلام كل هذا أدى فيما بعد إلى بذل الجهود الكثيرة لجمع أحاديث النبي ﷺ بعد تفرق الصحابة في الأمصار، لا سيما وقد وجد لها كاذبون حاولوا الدس على سنة رسول الله ﷺ فكان لابد من وجود من يجمع حديث رسول الله ﷺ الصحيح. ويعتبر هذا العمل الإسلامي الكبير الذي يحفظ مصدراً تشريعياً رئيساً ويأتي مباشرة بعد القرآن الكريم من أفضل الأعمال كل هذا جعل الإمام الثوري يتبناه ويعمل على جمعه ويقول فيه رداً على سؤال أُبي له في المنام: «أي شيء وجدت أفضل؟ قال: الحديث»[4].

إن الإمام الثوري هو أول من رتب الأحاديث ترتيباً موضوعياً في الكوفة، وقد علم معاصره أنه كان بارعاً في هذا العلم فراحوا ينهلون من معين علمه، قال

---

(١) أبو بكر الصِّديق: السابق إلى التصديق الملقب بالعتيق المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار وضجيعه بعد الموت في الروضة المخصوص في الذكر الحكيم. (حليةالأولياء: ٢٨/١).

(٢) عثمان بن عفان: ثالث الخطباء الراشدين، القانت، ذو النورين، والخائف، ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين. (حلية الأولياء: ٥٥/١).

(٣) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين ذو المقام الثابت، أعلن الله تعالى به دعوة الصادق المصدوق وفرق به بين الفصل والهزل، كان للحق مائلاً بالحق صائلاً وللأثقال حاملاً ولم يخف دون الله طائلاً. (حلية الأولياء: ٣٨/١).

(٤) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٦٧/٦ .

سليمان بن حيان: «كنا نصحب سفيان الثوري وقد سمعنا ممن سمع منه، إنما زيد منه تفسير الحديث»[١]. وقد أسس الثوري لنفسه مذهباً من مذاهب أهل الحديث ولكن هذا المذهب لم يبق مدة طويلة[٢].

وكان الحديث يأخذ على الإمام الثوري كثيراً من وقته، قال يحيى بن سعيد القطّان: «ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان في الحديث، كان يصلّي ما بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء صلاة فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء»[٣].

وكان لسفيان رحمه الله تعالى درس في الحديث. قال مؤمّل بن إسماعيل: «كان يخرج لنداء الظهر ثم يتطوع إلى العصر، فإذا صلى العصر أتاه أصحاب الحديث فاشتغل معهم إلى المغرب فيصلّي»[٤].

ويعد إسناد الحديث عند الإمام الثوري من أجلّ وأحسن الأسانيد عند العراقيين حيث يقول الذهبي في سيره: «جلُّ إسناد العراقيين: سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله»[٥]. وقال علي بن المديني: «نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبو إسحق، والأعمش، ثم صار علم هؤلاء الستة من أهل الكوفة إلى سفيان الثوري»[٦] وكان سفيان يقول في الإسناد: «الإسناد سلاح المؤمن فمن لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل»[٧]. وقال زائدة: «كنا نأتي الأعمش فنكتب عنه ثم نأتي سفيان فنعرض عليه فيقول لبعضها: ليس هذا من حديث الأعمش، فنقول: إنه حدثناه الآن، فيقول: اذهبوا إليه فقولوا له فنذهب إليه فنقول له، فيقول: صدق سفيان، فمحاه»[٨].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) تاريخ التراث العربي، لفؤاد سيزكن: ٢/٢٢٣ .
(٣) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٧/٦٣ .
(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٣٥ .
(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٧/٢٣٦ .
(٦) الجرح والتعديل، للرازي: ١/٥٩ .
(٧) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٧/٢٧٣ .
(٨) تاريخ بغداد، للبغدادي: ٩/١٦٩ .

obeikandi.com

وجاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: ألا ترى ما روى سفيان؟ فقال أبو حنيفة: «أتأمرني أن أقول إن سفيان يكذب في الحديث؟ لو أن سفيان كان في عهد إبراهيم لاحتاج إليه الناس في الحديث»[١]. وقال أيضاً: «لو مات سفيان في زمن إبراهيم لدخل على الناس فقده»[٢].

وكان الإمام الثوري كثير الرواية للحديث حتى قال الأشجعي عنه: «سمعت من الثوري ثلاثين ألف حديث»[٣]، وقال عبد المؤمن النسفي: «سألت صالح بن محمد جزرة عن سفيان ومالك، فقال: سفيان ليس يتقدمه عندي أحد وهو أحفظ حديثاً يبلغ حديثه ثلاثين ألفاً وشعبة نحو عشرة آلاف»[٤]. وقال ابن المبارك: «كنت أقعد إلى سفيان الثوري فيحدِّث فأقول: ما بقي من علمه شيء إلا وقد سمعته، ثم أقعد منه مجلساً آخر فيحدّث فأقول ما سمعت من علمه شيئاً»[٥]. وقد كنت أحصيت ما رواه تلميذه الإمام عبد الرزاق من حديثه في مصنفه المطبوع ـ على الرغم من أن المطبوع ناقص، فكان «٢٦٧٢ حديثاً».

ومن المأخوذ على رواية الإمام الثوري للحديث عند بعض العلماء أنه كان يدلّس في روايته. لقد أثنى عليه الناس في كل مكان الثناء المستطاب لما عرف به من إطلاع واسع عجيب وعلم غزير يرتفع إلى مقام الثقات الأثبات، وهو يوضع أحياناً في مرتبة أسمى من مالك بن أنس، واللوم الوحيد الذي يوجّه إليه هو التدليس، فقد جرى سفيان على أن يذكر أحاديثه منسوبة إلى رواتها الأثبات مباشرة مع أنه كان إنما يأخذها بطريق غير مباشر من محدثين أقل من هؤلاء حجية ويضعفه ابن حجر العسقلاني في كتابه «طبقات المدلسين في الطبقة

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٤٧/٧ .
(٤) المرجع السابق: ٢٧١/٧ .
(٥) المرجع السابق: ٢٤٧/٧ .

الثانية» أي من أولئك الذين صفح الأئمة عن تدليسهم لكونهم من الشخصيات البارزة وبسبب قلة هذا التدليس.

قال عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «الحجة الثبت متفق عليه مع أنه كان يدلّس عن الضعفاء، ولكن له نقد وذوق ولا عبرة لقول من قال: يدلّس ويكتب عن الكذّابين»[١].

وقد قال بعضهم: لعل إحراق الإمام الثوري لكتبه كان سببه تدليسه في الحديث، لأنه كان يقول: «ما أخاف على شيء أن يدخلني النار إلا الحديث»[٢]. فندم على ذلك ثم انتهج نهجاً جديداً في التحديث لا يداخله الطعن ولعل مصداق هذا قول الذهبي السابق. وقد روى له الشيخان[٣].

وإن سفيان وإن حدّث عن الضعفاء فإنه لا يحدِّث عن ضعيف لا ينجبر حديثه بالشواهد، والتحديث بمثل هذا الحديث واجب، لأنه لو لم يحدث المحدثون بهذا النوع من الأحاديث لضاعت كثير من الأحكام، لأن كثيراً من الشواهد التي تقويها قد تكون من هذا النوع الضعيف الذي ينجبر بغيره. وقد يكون الراوي ثقة عند الثوري لأنه لا يعلم من حاله ما يوجب ترك حديثه، ولكنه ضعيف عند غير الثوري، فيحدّث الثوري عنه، فيظن من يسمعه أنه يحدث عن الضعفاء. فإذا حدّث الثوري قوماً بحديث يرويه عمن هو ثقة في نظره وليس بثقة في نظرهم، أو يرويه عن ضعيف قليل الضعف وله شواهد تجبره، ولو ذكر لهم هذا الراوي لتركوا الحديث فإنه يدلس عليهم حتى لا يتركوا الحديث الذي هو صالح للاحتجاج في نظره[٤].

ولقد كان المقربون من تلاميذ الثوري يعرفون عنه هذا، ويعرفون أنه لا يحدث إلا عن الثقات أو بما يحتج به، ولذلك كانوا لا يدققون في الراوي الذي روى عنه

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي: ٢٤٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٥٥ .
(٣) الجواهر المضية، لابن أبي الوفاء: ٢٢٩/٢ .
(٤) توضيح الأفكار: ٣٧٥/١ .

الثوري طالما رضي الرواية عنه، قال يحيى القطان: «ولم أكن أهتم أن يقول الثوري لمن فوقه سمعت فلاناً ولكن كان يهمني أن يقول هو حدثنا...»[1] وهو يعني أن الثوري لا يحدث إلا بما هو صالح عنده.

وسفيان الثوري في تحديثه شأنه شأن سواه من العلماء في الحديث يحدّث بالمعاني[2].

حيث أنه لم يكن يلتزم بألفاظ النص المروي عن الرسول ﷺ، فقد قال عن نفسه: «ما أحدث إلا بالمعاني»[3]. وقال أيضاً: «لو أردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ما حدثناكم بحديث واحد»[4].

وكان سفيان يتصف بجودة أخذه للحديث فقد قال عبد الرحمن بن المهدي: «كنت مع سفيان عند عكرمة فجعل يوقفه على كل حديث على السماع»[5]. وكان يقول عن نفسه: «ما أحدّث من كل عشرة بواحد»[6].

وقد صنف الثوري «الجامع الكبير» جمع فيه حديث رسول الله وآثار الصحابة والتابعين، ورتبه ترتيباً موضوعياً، وقد رواه عنه جماعة منهم: يزيد بن أبي حكيم، وعبد الله بن الوليد العدني، وإبراهيم بن خالد الصنعاني، وعبد الملك الحيري، والحسن بن حفص الأصبهاني[7]. وكتابه «الجامع الصغير» ورواه عنه: الأشجعي، وغسان بن عبيد، والحسن بن حفص الأصبهاني، والمعافى بن عمران

---

(١) التاريخ الكبير: ٢/٩٤ .

(٢) نقسم العلماء إلى طائفتين طائفة تشددت في رواية الحديث باللفظ فقط، وطائفة لم تر بأساً في رواية الحديث بالمعنى: وقد اشترطت هذه الطائفة لذلك شروطاً منها أن يكون الراوي عالماً بالنحو والصرف وعلوم اللغة عارفاً بمدلولات الألفاظ وتعاضدها قادراً على أن يؤدي الحديث أداء خالياً من اللحن. وقد وقف الإمام مالك من الرواية بالمعنى موقفاً وسطاً، فأجازها فيما لم يرفع إلى رسول الله، وتشدد في منعها في الأحاديث المرفوعة على أن ابن الصلاح لا يرى ضرورة للتشدد في رواية الحديث بالمعنى. (انظر الباعث الحثيث: ١٥٨، والكفاية: ١٧٩).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٨ .

(٤) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/٢٠٤ .

(٥) الجرح والتعديل، للرازي: ١/٦٨ .

(٦) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٨ .

(٧) الفهرست، لابن النديم: ٣١٥ .

الموصلي، وعبد العزيز بن أبان وعبد الصمد بن حسان، وزيد بن أبي الزرقاء، والقاسم بن يزيد الجرمي[1]. قال إبراهيم بن عيسى: «رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم فقال: عليكم بجامع سفيان»[2].

وننهي حديثنا عن الحديث عند الإمام الثوري بقولين يبرزان إمارته للحديث: قال سفيان الثوري: «أنا في هذا الحديث منذ ستين سنة»[3]. وقال عبد الرحمن بن مهدي: «الناس على وجوه فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث ليس بإمام في السنة، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري».

المبحث السادس: الإمام الثوري والفقه:

اتفق العلماء على إمامة سفيان الثوري رحمه الله تعالى في الفقه، وقيل أنه صاحب مذهب متبوع[4]، ويقال إن الشيخ أبا القاسم رضي الله عنه كان على مذهبه[5]، وأهل الدينور أكثرهم كانوا على مذهبه[6]، وهو من الأئمة المجتهدين، كانت عنده ملكة استنباط الأحكام الفقهية من النصوص الشرعية من قرآن وسنة، ونتاج من سبقه من فقهاء الإسلام أمثال عبد الله بن مسعود بحكم نشأته في العراق، وعبدالله بن عمرو عبد الله بن عباس بحكم إقامته في الحجاز، حتى أصبح علماً من أعلام الفقه. قال محمد بن عبيد الطنافسي: «لا أذكر سفيان الثوري إلا وهو يفتي، أذكر منذ سبعين سنة ونحن في الكُتَّاب تمر بنا المرأة والرجل فيسترشدونا إلى سفيان ليستفتوه فيفتيهم»[7]. وقال سفيان بن عيينة: «ما رأيت رجلاً أعلم

(١) الفهرست، لابن النديم: ٣١٥ .
(٢) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٨٣/٦ .
(٣) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٩/١ .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ٢٢٣/١، شذرات الذهب، لابن العماد: ٢٥١/١ .
(٥) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣٨٦/٢ .
(٦) الأنساب، للسمعاني: ٢٦١/٣ .
(٧) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٥٧/٦ .

بالحلال والحرام من سفيان»[١]. وقال محمد بن المعتمر بن سليمان قلت لأبي: من فقيه العرب؟ قال: سفيان الثوري»[٢]. وقال عبد الرحمن بن المهدي: «أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري في الكوفة، ومالك في الحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة»[٣].

وكان سفيان الثوري باباً يقصد في الفتوى حيث كان العلماء يعظمونه وينزلون عند قوله وفتواه، فقد كان سفيان بالرِّي في سكة الزبير بن عدي، والزبير على القضاء، والزبير يستفتي الثوري في قضايا ترد عليه ويفتيه الثوري ويقضي به[٤]. وقال الإمام أبو حنيفة: «لو كان سفيان في التابعين لكان فيهم له شأن»[٥].

وقال رجل له: ألا ترى ما روى سفيان؟ فقال أبو حنيفة: أتأمرني أن أقول إن سفيان يكذب في الحديث؟! لو كان سفيان في عهد إبراهيم ـ يعني النخعي ـ لاحتاج الناس إليه في الحديث[٦]. وكان أبو حنيفة يفضِّل الثوري على علقمة بن قيس وعلى الأسود بن يزيد في الفقه، وهما أساتذة مدرسة ابن مسعود الفقهية ومشايخ شيوخ أبي حنيفة في الفقه[٧].

وكان سفيان الثوري ينتسب إلى مدرسة عبد الله بن مسعود الفقهية التي كانت تضم معظم فقهاء العراق بداية من علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وعمرو بن شرحبيل، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة السلماني، وشريح بن الحارث، وسليمان بن ربيعة الباهلي، وسُويد بن غفلة وغيرهم. ثم: إبراهيم النخعي، وعامراً الشعبي، وسعيد بن جبير، والقاسم بن عبد الرحمن بن مسعود، ومحارب ابن دثار، وجبلة بن سحيم. ثم: حماد بن أبي سليمان، وسليمان الأعمش، ومسعر ابن كِدام. ثم: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن شبرمة، وشريك

(١) تقدمة الجرح والتعديل، للرازي: ٥٥
(٢) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٧/١ .
(٣) تقدمة الجرح والتعديل، للرازي: ١١٨ .
(٤) الجرح والتعديل، للرازي: ٨٣/١ .
(٥) تاريخ بغداد، للبغدادي: ١٦٩/٩ .
(٦) تاريخ بغداد، للبغدادي: ١٦٩/٩ .
(٧) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٨/٧ .

القاضي، وسعيد بن أشْوَع، وسفيان الثوري، والحسن بن صالح بن حي، وأبا حنيفة [١]. قال علي بن المديني: أصحاب عبد الله بن مسعود ستة[٢] الذي يقرؤون ويُفتون، ومن بعدهم أربعة[٣]، ومن بعد هؤلاء سفيان الثوري، كان يذهب مذهبهم ويفتي بفتواهم[٤].

ومنهج الثوري في استنباط الأحكام أنه إذا عرضت له الحادثة طلب ما جاء فيها من نصوص القرآن أو السنة، ثم أعمل رأيه فيها ليستخرج ما قصده الشارع منها، فإن استخرجه لم يعدل عنه وفتى بما يحققه هذا المقصِد، فإن ترددت الواقعة بين حكمين أفتى بما هو أيسر على الناس لأنه يرى أن هذا التسهيل على الناس من غير خروج عن مقاصد الشارع هو الفقه فقد قال: «إنما العلم عندنا الرُّخَص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يُحْسِنه»[٥]. فإن لم يجد نصاً بحكم المسألة، اجتهد في حكمه دون تقيد باجتهادات غيره من معاصريه من الفقهاء فقد قال: «تعلّموا هذه الآثار، فمن قال برأيه فقل: إن رأيي مثل رأيك»[٦]. وكلا الاجتهادين يمكن الأخذ بأي منهما، قال الثوري رحمه الله تعالى: «إذا رأيت الرجل يعملُ العمل الذي اختُلِفَ فيه، وأنت ترى غيره فلا تنهَهُ»[٧] وما هذا التعدد في الأقوال في المسألة الواحدة إلا توسعة على هذه الأمة كي يأخذ كل واحد من الناس ما يناسبه من هذه الاختلافات من غير خروج عن دائرة الشريعة قال الإمام الثوري: «لاتقولوا اختلف العلماء في كذا، ولكن قولوا: وسع العلماء على الأمة في كذا»[٨].

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم: ٢٥/١ .
(٢) هم: علقمة والأسود وعبيدة السلماني والحارث بن قيس ومسروق وعمرو بن شرحبيل.
(٣) هم: إبراهيم النخعي والشعبي وأبو إسحق والأعمش.
(٤) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٨/١ .
(٥) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٦٧/٦ .
(٦) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٦٧/٦ .
(٧) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٦٧/٦ .
(٨) المرجع السابق: ٣٦٨/٦ .

وكان الإمام الثوري يُعْمِلُ رأيه أيضاً في الأخذ من السنة أو الترك منها، فإذا جاءه الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الثقة لم يهتم إن كان الحديث مرسلاً أو مسنداً، فإنه يُعمِل المرسل كما يعمل المسند، ويترك العمل بالحديث كذلك إذا لم يصح عنده. وكان يترك العمل بالحديث إذا ورد في موضوع قد عالجه القرآن، وكان في الحديث زيادة على ما في القرآن، لأن الزيادة عنده نسخ، والأضعف لاينسخ الأقوى، فحديث الآحاد[1] الذي يحمل زيادة عما في القرآن لا ينسخ القرآن الكريم، وهو في ذلك يتابع أصحاب مدرسة الرأي، فأخذ ذلك من أنه لم يقُل بفرضية النية في الوضوء مع أنه قد ورد فيها عن رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[2] ولم يقل بفرضية البسملة فيه مع أنه ورد فيها قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»[3]. وكل ذلك لأنه لم يُثبت الثوري فرضية ما جاء في هذه الأحاديث لأنها زيادة عما نصَّ الله تعالى على فرضيته في الوضوء في كتابه الكريم بقوله تعالى في (سورة المائدة ٦): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.

---

(١) خبر الواحد: هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ وإن روي أحادياً.
ذهب الجمهور إلى أن خبر الواحد الثقة حجة يلزم به العمل، وهذا النوع من الخبر ظني الدلالة لا يفيد القطع. وذهب الحنابلة والمالكية إلى أنه قطعي موجب للعلم اليقيني وهذا الخبر لا يقبل في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المُحكَم، والسنة المعلومة، والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به. (انظر: علوم الحديث ومصطلحه: ٢١٢، دار العلم للملايين، د. صبحي الصالح، ط١، ١٩٥٩م).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي، ومسلم في الإمارة باب إنما الأعمال بالنيات.

(٣) رواه أبو داود والترمذي في الطهارة باب التسمية.

كما كان يترك العمل بحديث الآحاد إذا ورد فيما تعم به البلوى، وهو يتابع بذلك أيضاً أصحاب مدرسة الرأي لأن ما تعم به البلوى من شأنه أن يكثر تكرر وقوعه، وإذا كثر وقوعه كثر السؤال عنه، وإذا كثر السؤال عنه كثر الجواب عليه، وهذايستلزم نقله نقلاً مستفيضاً، فإن لم يبلغ الخبر الوارد فيما تعم به البلوى درجة الذيوع والشهرة دلّ ذلك على فساد أصله، وبناء على ذلك لم يقل برفع اليدين في تكبيرات الانتقال في الصلاة لأن الحديث فيه حديث آحاد.

ولكن الثوري خالف مذهب أصحاب مدرسة الرأي في اعتبار الحديث المخالف لقياس الأصول أصلاً بذاته يُعمَلُ به. ومن هنا لم نجد له منعاً للعمل بحديث «**ذكاة الجنين ذكاة أمه**»[1] مع أنه مخالف لقياس الأصول، إذ لاتكون في الأصول ذكاة نفس واحدة عن ذكاة نفسين.

و أخلص إلى القول أن الثوري أقام أركان مذهب فقهي مستقل، لم يتابع فيه أهل الرأي كل المتابعة، ولكنه لم يبعدُ كثيراً عن نهجهم في التفكير الفقهي، ولم يتابع فيه أهل الحديث كل المتابعة، ولكنه لم يهجر ما ذهبوا إليه كل الهجر، بل كان مذهبه وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، ولذلك كانت له مكانته في كلتا المدرستين.

وكان لمذهب الثوري أتباع في العراق والمغرب[2]. وكان الذي أدخل مذهب سفيان إلى المغرب علي بن زياد العبسي الذي روى عن الثوري وأدخل جامعه إلى المغرب[3] وفي غيرها من البلدان، وكان فيه علماء ومفتون، وكان آخر هؤلاء المفتين على مذهب الثوري في بغداد عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري الذي توفي في أوائل القرن السادس الهجري، قال في النجوم الزاهرة: «وفيها ـ أي في سنة ٤٠٥هـ ـ توفي عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري، لم يكن ببغداد مفتٍ على مذهب سفيان الثوري غيره، وهو آخر من

(١) أخرجه الترمذي في الأطعمة.
(٢) المغرب: بلاد واسعة كثيراً ووعثاء شاسعة، وحدودها من آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس. (معجم البلدان: ١٦١/٥).
(٣) الإكمال، لابن ماكولا: ٥٢٤/١ .

أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوري. قلت ـ القائل هو ابن تغري بردي ـ لعل ذلك بالشرق، وأما بالمغرب فدام مذهب الثوري بعد هذا التاريخ عدة سنين[1] وهكذا عاش مذهب الثوري وعمل به الناس مدة ثلاثة قرون ثم أخذ عدد الآخذين به يتضاءل حتى لم يبق منهم أحد، وانقرض هذا المذهب.

ولم يكن سبب انقراض مذهب الثوري لعجز في هذا المذهب، لا، لأن ما جمعناه من مذهب الثوري يدل على أن مذهبه موطَّد الأركان محكم البناء سليم المآخذ، ولكن لأن دولة مالم تتبناه، ولأنه لم يُقيَّضْ له من التلاميذ من يُدَوِّنُه، ويشرحه، فنحن لا نعلم أن كتاباً واحداً قد دوَّنه الثوريون في مذهب الثوري، فضلاً عن وضع الكتب في تحرير المذهب وتدوين أصوله، ولذلك لم يكن من الممكن أن يعيش، ونرجو أن يكون ما جمعناه من فقه الثوري مناراً يدلنا على القيمة العلمية العالية لهذا الفقه.

وإذا ما قورنت آراء الإمام الثوري ـ كما سيأتي ـ مع غيره من المذاهب الأربعة الأخرى لاحظنا تقارب آرائه في مذهبه من المذهب الحنفي بصورة واضحة جليّة أكثر من باقي المذاهب الأخرى.

المبحث السابع: آثار الإمام الثوري:

صنف الإمام الثوري خلال حياته عدداً من الكتب التي لا يعرف عددها وماذا تحتويه من علوم وذلك لأنه كما سبق وأسلفنا أن الإمام الثوري حين ندم على ما دلَّس من حديث أمر بإخراج كتبه وإحراقها أو محوها وقد أوكل هذا إلى عمار ابن سيف الكوفي، وقال: «ما كان يجبر فاغسله، وما كان بأنقاس[2] ـ ما يكتب به غير الحبر ـ فامحه»، قال: «فسخنَّا الماء واستعان بنا»، قال: «فأخرج كتباً كثيرة فجعلنا نمحوها ونغسلها»[3]. وما تبقى من كتب حملها معه إلى مكة ولا بد أنه زاد عليها من مؤلفاته فيها، وحين خاف على نفسه من ملاحقة الحكام هرب من

(١) النجوم الزاهرة، لابن تغري بَرْدي: ٤/٢٣٨، وشذرات الذهب، لابن العماد: ١/٢٥٠، ٢٥١ .
(٢) الأنقاس: النِّقس الذي يكتب به. وقال ابن سيد: النقس المداد. (لسان العرب، مادة: نقس).
(٣) تقدمة الجرح والتعديل، للرازي: ١١٦ .

مكة بعد أن طمر كتبه في حفرة، ولما زال الخطر أمر أبا عبد الرحمن الحارثي[1] ويزيد بن توبة المرهبي وقال لهما: «أخرجوا الكتب»، فدخلا الحفرة وأخرجا منها تسع قمطرات[2]، طول كل واحدة منها إلى ثُنْدَوَة[3] أحدهم، وجعلا يمازحان الثوري ويقولان: «يا أبا عبد الله وفي الركاز الخمس»[4].

إلا أنه لم يذكر العلماء من كتبه إلا الآتي:

الجامع الكبير: وهو كتاب وضعه على طريقة المحدثين يذكر الأقوال بأسانيدها ويذكر قوله. وهو كتاب يجمع فيه فقه الصحابة والتابعين، وهو من أطول الكتب. ألفه في الكوفة ورواه عنه جماعة منهم: يزيد بن أبي حكيم[5]، وعبد الله بن وليد العدني، وعبد الرزاق الصنعاني[6]، وعبد الملك الحيري، ومن غير أهل اليمن الحسن بن حفص الأصفهاني[7].

الجامع الصغير: وهو كتاب في الحديث، رواه عنه جماعة منهم: الأشجعي، وغسان بن عبيد، والحسن بن حفص الأصفهاني[8]، والمعافى

(١) قمطرات: ما تصان فيه الكتب، مفردها: قَمطَرة. (انظر لسان العرب، مادة: قمطر).
(٢) أبو عبد الرحمن الحارثي: (...-١٣٥هـ) زياد بن صالح الحارثي، من أمراء الدولة المروانية، وأحد القادة الشجعان، كان والي الكوفة عند قيام الدولة العباسية في خراسان والعراق. قتله الدهقان. (الأعلام: ٥٤/٣).
(٣) الثُّنْدوَة: لحم الثدي. وقال ابن السكيت: هي الثَّنْدوَة اللحم الذي حول الثدي وقال غيره: الثُّنْدَوة للرجل والثدي للمرأة. (لسان العرب، مادة: ثند).
(٤) تاريخ بغداد، للبغدادي: ١٦١/٩ .
(٥) يزيد بن أبي حكيم: (...ـ نحوه ١٠هـ) يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي، شاعر عالي الطبقة من أعيان العصر الأموي من أهل الطائف، ولاه الحجاج كورة فارس ثم عزله. (الأعلام: ١٨١/٨).
(٦) عبد الرزاق الصنعاني: (١٢٦-٢١١هـ) من حفاظ الحديث الثقات. قال عنه الذهبي: هو خزانة علم. له «المصنف في الحديث». (الأعلام: ٣٥٢/٣).
(٧) كشف الظنون، لحاجي خليفة: ٢٢٥، الفهرست، لابن النديم: ٣١٥ .
(٨) الحسين بن حفص الأصفهاني، ابن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمداني الإمام الثقة الجليل الفقيه الأوحد أبو محمد الأصبهاني، نقل علماً كثيراً وتفقه وأفتى بمذهب الكوفيين وحدث عن سفيان الثوري. (سير أعلام النبلاء: ٣٥٦/١٠).

ابن عمران الموصلي، وعبد العزيز بن أبان، وعبد الصمد بن حسان، وزيد بن أبي الزرقاء[1]، والقاسم بن يزيد الجرمي[2].

رسالة إلى عبّاد بن عبّاد بن حبيب العتكي الأُرسوفي: وهي مذكورة في تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم من ص٨٦-٨٩ . وهناك رسالة أخرى مذكورة في حلية الأولياء: ٦/٣٧٦-٣٧٧ .

كتاب في الفرائض: وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية في دمشق في المجموع رقم ٣٨ (٢٥أ-٣٧أ)، وهو مكتوب في القرن السادس الهجري.

كتاب تفسير القرآن الكريم: المشهور الذي رواه عنه أبو حذيفة بن مسعود النَّهدي وهو كتاب من كتب التفسير بالمأثور، فسّر فيه الثوري الآيات والجمل التي وصله شيء من تفسيرها عن أحد السلف، وما عثر عليه من هذا التفسير يشتمل على تسع وأربعين سورة من القرآن آخرها سورة الطور. وقد حققه الأستاذ امتياز علي العرشي وطبعه في رامبور الهند، ثم طبعته دار الكتب العلمية في بيروت، سنة ١٤٠٣هـ.

الاعتقاد: بتنقيح تقي الدين بن تيمية، وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق في المجموع: ١٤/١٣٩ (من ١٦٩١ أ - ٩٢ أ).

وصية إلى علي بن الحسن السُّلمي: وهي مذكورة في حلية الأولياء: ٧/٨٢-٨٥ .

كتاب آداب سفيان الثوري: قال ابن النديم: ذكره أبو بكر بن خليفة في فهرست مروّياته[3].

المبحث الثامن: الإمام الثوري في ميزان العلماء:

أجمع العلماء على إمامة سفيان الثوري في العلم والزهد والورع والفقه والحديث والتفسير.. وقد صنفوه في مشاهير أتباع التابعين في الكوفة[4]. فكان الشخصية الفذة المميزة في عصره فراح العلماء يثنون عليه العلم الغزير

(١) الفهرست، لابن النديم: ٣١٥ .
(٢) كشف الظنون، لحاجي خليفة: ٢٢٥ .
(٣) الفهرست، لابن النديم: ٢٧٥، تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين: ١/٣/٢٤٨ .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ١/٢٢٢، مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان: ٢٦٨ .

والسجايا الحميدة والورع والتقى الذي ازدانت به تلك الشخصية، فلنتتبع أقوال العلماء في هذه الشخصية، ولنضعه في ميزان العلماء ولنحكم على هذه الشخصية من خلال أقوالهم:

قال عنه ابن خلكان[1]: «كان إماماً في علم الحديث، وهو أحد الأئمة المجتهدين»[2]. وقال عبد الرحمن بن المهدي: «ما رأيت رجلاً أعلم بالحديث من سفيان»[3]. وقال أيضاً: «ذكر سفيان شعبة ومالكاً وابن المبارك، فقيل: أعلمهم بالعلم سفيان»[4]. وقال عبد الله بن المبارك: «لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري»[5]. وقال: «ما رأيت مثل سفيان كأنه خلق لهذا الشأن»[6]، وقال عنه أيضاً: «مانُعت لي أحد فرأيته إلا وجدته دون نعته إلا سفيان الثوري »[7]. وقال: «ما أحد عندي من الفقهاء أفضل من سفيان بن سعيد»[8]. وقال عنه: «كنت إذا شئت رأيت سفيان مصلياً، وإن شئت رأيته محدثاً، وإن شئت رأيته في غامض الفقه»[9]. قال شعبة: «سفيان أمير المؤمنين في الحديث»[10]. وقال أيضاً: «ساد سفيان الناس بالورع والعلم»[11].

وقال سفيان بن عيينة: «أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ﷺ: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه»[12]. وقال المثنى بن

---

(١) ابن خلكان: (٦٠٨-٦٨١هـ): أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان: فقيه، مؤرخ، أديب، شاعر، مشارك في غير من العلوم، من تصانيفه: وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان. (معجم المؤلفين: ٢/٩٥).

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٢/٣٨٦ .

(٣) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٢/٣٨٧ .

(٤) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٦٠ .

(٥) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٢/٣٨٩ .

(٦) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٦٨ .

(٧) الجرح والتعديل، للرازي: ١/٥٧ .

(٨) تاريخ بغداد، للبغدادي: ٩/١٥٧ .

(٩) التاريخ الصغير، للبخاري: ٢/١٣٩ .

(١٠) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٥٦ .

(١١) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٧/٢٣٨ .

(١٢) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦/٣٥٦ .

الصباح[١]: «عندما ذكر سفيان الثوري أمامه: «عالم الأمة وعابدها»[٢]. وقال فضيل ابن عياض: «إن هؤلاء أشربت قلوبهم حب أبي حنيفة وأفرطوا فيه حتى لايرون أن أحداً كان أعلم منه، كما أفرطت الشيعة في حب علي، وكان والله سفيان أعلم منه»[٣]. وقال عبد الله بن داود الخريبي: «ما رأيت محدثاً أفضل من سفيان الثوري»[٤]. وقال أحمد بن يونس[٥]: «ما رأيت أحداً أعلم من سفيان الثوري»[٦]. وقال عنه الذهبي: «هو شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه.. قد كان رأساً في الزهد والتأله والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه»[٧]. وقال عنه عباس الدُّوري: «رأيت يحيى بن معين لا يقدّم على سفيان أحداً في زمانه في الفقه والحديث والزهد وكل شيء»[٨].

وقال عنه أبو حنيفة: «لو كان سفيان الثوري في التابعين لكان فيهم له شأن.. لو حضر علقمة والأسود[٩] لاحتاجا إلى سفيان.. لو مات سفيان في زمن إبراهيم[١٠] لدخل على الناس فقده»[١١]. وقال عنه ابن أبي ذئب[١٢]: «ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان الثوري»[١٣].

---

(١) المثنى بن الصباح: (...-١٤٩هـ): من رجال الحديث المكثرين. كان من أعبد الناس. من أبناء فارس. عُدّ من الضعفاء. (الأعلام: ٧٦/٥).

(٢) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٥٧/٦ .

(٣) المرجع السابق: ٣٥٩/٦ .

(٤) المرجع السابق.

(٥) أحمد بن يونس: (٩٤١-١٠٢٥) أحمد بن يونس بن أحمد شهاب الدين العيثاوي، فاضل أفتى ودرّس. من تصانيفه : متن ماه «الحبب». (الأعلام: ١٧٦/١).

(٦) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٥٩/٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٠/٧ و٢٤١ .

(٨) المرجع السابق: ٢٣٧/٧ .

(٩) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٨/٧، علقمة والأسود هما تابعان لابن مسعود أخذا عنه العلم.

(١٠) هو إبراهيم النخعي من مدرسة ابن مسعود، مدرسة أهل الرأي.

(١١) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٨/٧ .

(١٢) ابن أبي ذئب: (٨٠-١٥٨هـ) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب: من بني عامر، تابعي من رواة الحديث، كان يفتي بالمدينة، من أورع الناس وأفضلهم في عصره. (الأعلام: ١٨٩/٩).

(١٣) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٤٠ .

وكتب الأوزاعي إلى عبد الله بن يزيد: «بلغني كتاباً يَذكر دروساً من العلم وذهاب العلماء، وإن كنت لم تعرف ذهاب العلماء إلا في عامك هذا فقد أغفلت النظر، فإنه قد أسرع بهم منذ حين وذهب بقاياهم منذ أعوام من كل حدب وأفق، فلم يبق منهم رجل واحد يجتمع عليه العامة بالرضا والصحة، إلا ما كان من رجل واحد بالكوفة». قال عباس بن الوليد: يعني الثوري[١]. وقال أيضاً: «لو قيل: اختر لهذه الأمة رجلاً يقوم فيها بكتاب الله وسنة نبيه لاخترت لهم سفيان الثوري»[٢].

وقال عنه ابن العماد[٣] في كتابه «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»: «سيد أهل زمانه علماً وعملاً»[٤].

وقيل لإسماعيل بن إبراهيم: «كان شعبة أكثر علماً أو سفيان؟ فقال: ما علم شعبة عند علم سفيان إلا كتفلة في بحر»[٥].

وقال يحيى بن سعيد القطّان[٦]: «شعبة معلمي وسفيان أحبٌّ إلي منه»[٧].

وقال أبو نعيم: «الإمام سفيان بن سعيد الثوري رحمة الله تعالى عليه في غزارة علمه ورواياته كالبحر الذي لا ينزف والسيل الذي لا يصرف»[٨].

وقال مالك: «كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان»[٩].

وقال عنه يونس بن عبيد[١٠]: «ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان»[١١].

---

(١) الجرح والتعديل، للرازي: ٥٢/١-٥٦ .
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٤٩/٧ .
(٣) ابن العماد: (٥١٩-٥٩٧هـ): محمد بن أحمد بن حامد الأصبهاني: عالم، أديب، كاتب، ناظم، من الوزراء، أتقن الفقه والخلاف. (معجم المؤلفين: ٢٤٩/٨).
(٤) شذرات الذهب، لابن العماد: ٢٥٠/١ .
(٥) تاريخ بغداد، للبغدادي: ١٦٥/٩
(٦) يحيى بن سعيد القطان: يحيى بن سعيد بن فروخ الإمام الكبير أمير المؤمنين في الحديث، الحافظ. (سيرأعلام النبلاء: ١٧٥/٩).
(٧) المرجع السابق: ١٦٧ .
(٨) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٦٢٥/٦ .
(٩) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: ١١٥/٤ .
(١٠) يونس بن عبيد (...-١٣٩هـ) يونس بن عبيد بن دينار العبدي بالولاء، البصري، من حفاظ الحديث الثقات من أصحاب الحسن البصري. له نحو مئتي حديث. (الأعلام: ٢٦٢/٨).
(١١) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣٨٦/٢ .

وحكي عن أبي صالح شعيب بن حرب المدائني ـ وهو أحد السادة الأئمة الأكابر في الحفظ والدين ـ أنه قال: «إنني لأحسب يُجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق يقال لهم: «لم تدركوا نبيكم عليه الصلاة والسلام فقد رأيتم سفيان الثوري، ألا اقتديتم به؟»[١] وقال عنه الأصفهاني عندما عرّف به في كتابه «حلية الأولياء»: «منهم الإمام المرضي، والورع الدُّري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، كانت له النكت الرائعة والنتف الفائقة فسلم له في الإمامة، ومثبت به الرعاية، العلم حليفه، والزهد أليفه»[٢]. وقال بشر بن الحارث: «كان سفيان الثوري عندي إمام الناس»[٣]. وقال إسماعيل الزاهد: «رحم الله أبا عبد الله، يازين الفقهاء، وياسيد العلماء، ياقرير العيون، تبكي العيون لفقدك على واصل الأرحام في زمانهم، ثم قال: أصيب المسلمون بعمر بن الخطاب وأصبنا بأبي عبد الله في زماننا»[٤]. وقال بشر الحافي[٥]: «سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر»[٦]. وقال أحمد بن حنبل: «أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري لا يتقدمه أحد في قلبي»[٧].

وقال قتيبة: «لولا سفيان لمات الورع»[٨]. وقال أبو حاتم الرازي[٩]: «سفيان، فقيه، حافظ، زاهد، إمام....»[١٠].

---

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣٨٩/٢ .
(٢) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٥٦/٦ .
(٣) المرجع السابق: ٣٥٧/٦ .
(٤) المرجع السابق: ٣٥٩/٦ .
(٥) بشر الحافي (١٥٠-٢٢٧هـ): بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي: من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث. (الأعلام: ٥٤/٢).
(٦) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٣٩/٧ .
(٧) المرجع السابق.
(٨) المرجع السابق: ٢٥٩/٧ .
(٩) أبو حاتم الرازي: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، مُحدِّث، حافظ، ولد بالري. (معجم المؤلفين: ٣٥/٩).
(١٠) المرجع السابق: ٢٧٠/٧٠ .

وقال عنه الخطيب البغدادي[1] في تاريخه: «كان إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد»[2].

وقال عنه النَّسائي: «هو أجلُّ من أن يقال عنه ثقة، وهو أحد الأئمة الذين أرجو أن يكون الله ممن جعله للمتقين إماماً»[3].

وقال ابن حبان[4] عن الإمام الثوري: «كان من سادات الناس فقهاً وورعاً وإتقاناً»[5].

ونختم هذه الأقوال بقول المناوي في كتابه «الكواكب الدرية»: «سيد الحفاظ، أمير المؤمنين في الحديث، عالم الأمة في القديم والحديث، الإمام الرضي، والورع الزاهد الدري، له النكت الرائعة، والاستنباطات الشريفة الفائقة، والهمم التائقة، والنفس الشائقة، العلم حليفه، والزهد أليفه، والفقه عريفه، والفقه تشريفه، والقناعة حريفه[6]، والصبر قرينه، والرضا خدينه، والتوكل مسلكه، والتفويض مطلبه ومدركه»[7].

---

(١) الخطيب البغدادي: (٣٩٢-٤٦٣هـ) أحمد بن علي ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت: محدث، مؤرخ أصولي، من تصانيفه: «تاريخ بغداد». (معجم المؤلفين: ٣/٢).

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ١٥٢/٩ .

(٣) تهذيب التهذيب، للعسقلاني: ١١٤/٤ .

(٤) ابن حبان: (٢٧٠-٣٥٤هـ): محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي: محدث، حافظ، مؤرخ، فقيه، لغوي، واعظ، مشارك في الطب والنجوم. (معجم المؤلفين: ١٧٣/٩).

(٥) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: ١١٤/٤ .

(٦) حريفه: مُعَامِلُه في حِرْفَتِه وحرفة الرجل، ضَيْعَته أو صنعته. (انظر لسان العرب، مادة: حرف).

(٧) الكواكب الدرية، للمناوي: ٢١٢/١ .